

التفاهم بين الزوجين أسباب الخلاف ووجوه العلاج

في الولايات المتحدة الأمريكية يكثر الاهتمام بدراس العوامل المنزلية للسعادة بين الزوجين . وقد خصت بعض الجامعات هذا الموضوع بعنايتها وأرصدت له الأساتذة الذين يدرسونه من وجهاته المختلفة النفسية والاقتصادية والاجتماعية . ومع أن الفرق كبير بيننا وبين سكان الولايات المتحدة في الأحوال الاجتماعية فاننا نتلاقى أحيانا في كثير من المساوئ أو الأغلاط التي تؤدي الى الفشل في الأسرة ، ولذلك لاجتاحت علينا من أن ننفع بتجاربههم .

وقد كتب أحد القضاة الذين اقتصوا بقضايا الطلاق في هذه الولايات المتحدة مقالا عن الخلافات التي تقع بين الزوجين ، فكان في أول القائمة التي ذكرها ذلك الخلاف الشائع وهو تدخل الأهل ، ولذلك هو ينصح للزوجين والمقدمين على الزواج بأن يختص الزوجان بيت مستقل ولو كان غرفة فوق السطح ، وهذا مع مجاملة أفا ربهما ولكن مع الحذر من تدخلهم في شئون البيت .

هذا ما يقوله قاض في أمريكا ، وكثير من الخلاف الذي ينشب بين الزوجين في مصر يعود الى تدخل الحماة التي تريد — اذا كانت أم الزوج — أن ترأس البيت بدلا من الزوجة أو هي — اذا كانت أم الزوجة — تدفع ابنتها الى إيهاط الزوج بمطالبات مرهقة تؤدي الى المفاضبة والمشاجرة .

ولذلك نقول إن أول شرط للتفاهم بين الزوجين أن يعمل الزوج على الاستقلال بزوجه وأن يوقن أن رغبتها في أن تكون ربة البيت الذي تستقل به هي رغبة مشروعة يجب ألا تصدم ، فاذا كانت الظروف الاقتصادية تحول دون هذا الاستقلال وتقضى باشتراك الحماة فإنه يجب على الزوج أن يعرف ماهو فيه ، لأنه هنا ازاء مشكلة تحتاج الى الحل بالتوفيق الدائم بين زوجته والدة أو بينه هو وبين والدتها ، أي يجب عليه أن يعرف أنه يواجه حالة تحتاج الى اليقظة وتجديد المعالجة بالنظر السليم والتقدير الحسن ، ومن عرف فقد غفر .

وأقل من هذه الحال حرجا أن يكون بالبيت بعض الأقارب مثل الأخوة ، فإن الزوجة مع رغبتها في الاستقلال تستطيع أن تتساح مع هؤلاء لأنهم في العادات المألوفة

لا يعارضون سيطرتها كما تفعل الحماة ، ولكن حتى هنا يجب ألا يفوتنا أن الزوجة ترى استقلالها المنزلى غير تام ، وهذا النقص يبعث القلق الدائم فى نفسها .

وسبب آخر للخلاف هو الخطة الاقتصادية فى البيت ، فان الزوج هو الكاسب ، والزوجة هى المنفقة ، وموقف الزوج كثيرا ما يبرر له السيطرة والكلمة الأخيرة فى وجوه الإنفاق ، وهو يحقق ذلك إذا كانت الزوجة على خبرة صغيرة أو بلا خبرة فى هذه الوجوه ، وكثيرا ما تكون الحال كذلك . وعندئذ ترضى هى مستسلمة خاضعة لأنها تخشى تبعه الإنفاق ، أما إذا كانت على شئ من هذه الخبرة فإنها ترفض أن يكون زوجها هو الذى يتولى الإنفاق على البيت . والواقع أن الاختبارات المتكررة تدل على أن راحة الزوج نفسه تحمله على أن يكل إلى زوجته أمر النفقة على البيت ، لأنه حين يرفض ذلك ويستأثر بنفسه بنفقة البيت يبعث الشكوك فى قلب الزوجة عن سلوكه خارج البيت ، فهو كلما تأخر عن ميعاده أو كلما عجز عن الوفاء بالحاجات المنزلية يصير عرضة للاتهام بأنه أنفق بعض كسبه خارج المنزل ، ومن هنا تنشأ الشبهات المظلمة التى تغشى جو البيت وتجعله قاتما لأن الزوجة تتخطن الظنون الكثيرة . والقرش الذى ينفقه زوجها فى الله من ملياته يعود مبلغا ضخما كان يمكن به سد نقص قائم .

وخير الخلل الذى تتبع هنا أن يصارح الزوج زوجته عن مقدار كسبه ، ولا يترك عندها ظلا للشك فى هذا الموضوع ، ثم عليه بعد ذلك أن يترك لها نفقة البيت شهرا بشهر حتى يشعرها المسئولية ، هذه المسئولية التى تكون الأخلاق ، وقل أن تجنح زوجة إلى التذير إذا كانت قد تعودت النفقة الشهرية تحسب حسابها لشهر قادم وهى على وجدان تام بالتكاليف والأعباء وعلى علم بمقدرة زوجها المالية . لأن الزوجة المبذرة هى التى تجهل كسب زوجها وتتمه باضاعة دخله خارج البيت وتتناول منه أثمان حاجاتها وكأنها تخطف منه ، فإذا شاء الزوج الفهم فعليه أن يشعر زوجته الثقة بصارحتها بطاقته المالية وأن يسلم لها نفقة الشهر الكاملة ويترك لها حرية الشهر الكاملة ويترك لها حرية التصرف .

فلنا إن أهم الأسباب للخلافات الزوجية يعود إلى :

(١) تدخل الحماة وشعور الزوجة بأنها ليست ربة البيت .

(٢) حرمان الزوجة من السيطرة المالية على البيت وجهلها لأبواب الكسب والإنفاق عند زوجها .

وهذان السببان مع خطورتهما فى السنين الأولى للزواج يضعف أثرهما أويزولان بتاتا بمضى الزمن ، لأن الحماة هى فى الغالب عجوز ستتهى بالكف عن النضال لرياسة البيت

أو هي قد تبلغ الشيخوخة التي تقضى طبيعة الأشياء بترك المجال للشباب . والغالب في السبب الثاني أن الزوج المطمئن الى زوجته يمنح الى الثقة التامة بها فيسلم لها بجميع طلباتها المتزلية ويجد الروح والراحة في هذا التسليم .

ولكن هناك سببا ثالثا لخلاف يشق علاجه وتتطول مسأولته ، وهو أكثر تفشيا في بلادنا مما هو في الأفطار الأوربية أو الأمريكية نعى به قلة الزمالة بين الزوجين . فان الزوج الأوربي يزامل زوجته فيرافقة في زياراته وتزهاته ، وهو يحادثها في السياسة ويناقشها في الشؤون العامة ، ومجلته هي مجلتها وجريدته هي جريدتها ، فهما صديقان زميلان على ذوق واحد ومستوى فكرى لا يختلف ، ولذلك يأنس كل منهما بمحدث الآخر ويشاق بل يسعى اليه .

ولكن الحال مع الأسف ليست كذلك في مصر ، وليست الزوجة هي الملوثة ، لأننا نحن في مصر قد عينا بتعليم الشبان دون الفتيات فانسعت الحوة بينهما وصار التفات عظيم في ثقافتهما . ولذلك ينشد الشباب عندنا هذه الزمالة ليس في زوجته بل في صديقه في القهوة أو النادي ، وتقتصر العلاقة بين الزوجين على الضرورات كأن البيت ليس سوى فندق أو مطعم . فالزوجان لا يتفاهمان إلا في الحاجات البدائية والصلة الذهنية مقطوعة بينهما ، الزوجة في المطبخ أو بين الأولاد ، الزوج يقرأ جريدته وسرعان ما يهرع الى مكتبه أو الى قهوته ، بل هو قد يقعد الى المسائدة فلا يخاطبها إلا بالمفردات أو الجمل القصيرة .

ونعود فنكرر أن الزوجة ليست مسئولة عن هذه الحال ، لأن المجتمع المصرى هو الذى عين لها هذا الوضع ، وعندئذ يجب علينا أن نعاملها بالعطف والحب والمعاونة . وذلك بأن يعمد الزوج الى أن يربى زوجته ويرفع مستواها الثقافى بالمناقشة والحديث وأن يرافقها في زياراته للناحف والمتزهات وأن يقصد حين يختار مصيفا الى التعليم والتنوير كما يقصد الى التزه وتجديد الصحة ، ويحسن الزوج المتيسر اذا حو اضطر بحب زوجته معه حين تناح له الفرصة لزيارة أوربا ، وليس التعليم المدرسى هو كل شيء في التنوير العام ، فان الجرائد والمجلات وأحاديث الرديفون والمسرح وأحيانا تخصص ومناظر السينما توغراف ، كل هذه موفورة وهى جديرة بأن تثير الذهن وترقى بالزوجة التي لم تحصل في المدارس على التربية الكافية ، وهى حين يشرف الزوج على تربيتها بهذه الوسائل تستطيع أن تزامله فلا تكون زوجته فقط بل صديقه أيضا ، وهى أيضا لا تكون أم الأطفال فقط بل مربيتهم التي تبصر بمستقبلهم وتعتهم له .

وحيث تكون الزمالة بين الزوجين تكون السعادة وحسن التفاهم في البيت .